المحاضرة 02: علم اجتماع التربية:

1- مفهوم علم اجتماع وجدلية التسمية: علم الاجتماع التربوي ميدان من ميادين علم الاجتماع، يهتم بدراسة الظاهرة التربوية والتنشئة الاجتماعية، ودراسة المشكلات التربوية، دراسة علمية وصفية وتحليلية بغرض فهم هذه الظاهرة الاجتماعية ومشكلاتها من حيث نشأتها وتطورها وأدائها لوظيفتها، بحيث يعمل علم الاجتماع التربوي على متابعة الآثار الاجتماعية على الواقع التربوي من خلال دراسة الطرق التربوية المطبقة في المنازل والمدارس التي تهدف إلى معرفة مدى التوافق بين أسس التربية والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع (الجولاني).

يلاحظ المتصفح للمراجع الخاصّة بعلم اجتماع التربية ظهور العديد من المصطلحات المشابهة، إلّا أنّ هناك مصطلحين أساسيين يستخدمان عند الحديث عن هذا العلم إحداهما هو:

علم الاجتماع التربوي Educationnel sociologie والآخر هو علم الاجتماع التربية Sociologie of Education. ويستخدم المصطلح الأوّل في قاموس التربية باعتباره فرعا من فروع علم الاجتماع يطبق المعرفة والتكتيكات السوسيولوجية في مجال العلاقات الإنسانية وما يرتبط به من مجالات أخرى.

إنّ علم اجتماع التربية يدرس الطبيعة الاجتماعية، ويعتبر المدرسة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى جزءا من نظام المجتمع، ولكن موضوع علم الاجتماع التربية وموضوع علم الاجتماع التربوي واحد، والخلاف بينهما اختلاف زاوية النظر إلى هذا الموضوع، فالباحث في علم الاجتماع التربوي يحلل العمليات الاجتماعية باعتبارها مظاهر تربوية نابعة من العملية التربوية كظاهرة اجتماعية أو نتاج اجتماعي.

وأمّا المؤسسة التربوية في علم الاجتماع التربوي فوسيلة وغاية للنشاط الاجتماعي في حين تكون مصدرا للمعلومات الممكن تحويلها اجتماعيا، وفيما ينحصر البحث في علم الاجتماع التربوي في الميدان التربوي، نجد علم اجتماع التربية يبحث في المجتمع، ونتائج التربية فيه، في حين يهتم علم الاجتماع التربوي بأشكال التربية ونشاطها وسلوك المربين وتحديد ومدى تأثره بالمدرسة، وبفهم الظواهر الناتجة عن العملية التربوية أو المدرسية، وإمّا بخصوص المحتوى(الدين شروخ، 2004).

فإنّ محتوى علم الاجتماع التربوي هو الدراسات الاجتماعية في التربية والتغير الاجتماعي في المدرسة، والمعلمين، والقوى الاجتماعية في التربية، والمدرسة وعلاقتها بالبيئة المحيطة.

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن علم الاجتماع التربوي يعنى بالبحث في تأثير التربية في المجتمع دون أن يهمل تأثرها به، في حين يعنى علم اجتماع التربية بالبحث في تأثير المجتمع في التربية، دون أن يهمل تأثرها بها، أي أنّ بين العلمين مراتب ومراكز منطقة تقاطع واسعة ونتائج قربى كثيرة (الدين شروخ، 2004).

2- نشأة وتطور علم اجتماع التربية:

ترجع جذور علم اجتماع التربية إلى ظهور الثورة الصناعية في أوربا، والتّي كانت سببا في تعقد الحياة الاجتماعية من النواحي السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو التربوية، وأخذ العلماء والفلاسفة يبحثون عن أسباب هذه المشكلات والعمل على إزالتها.

يمتد علم اجتماع التربية في نشأته كعلم إلى منتصف القرن التاسع عشر، حيث بدأ ظهوره بكتابات غير منتظمة تتناول مسالة الأسس الاجتماعية للتربية بشكل واسع وعام.

وقد زاد الاهتمام بمثل هذه الكتابات بفضل اتساع حركة الإصلاح التربوي من جهة، وبفضل انتشار الفلسفة البراغماتية.

ومن جهة ثانية وبفضل انتشار واتساع نطاق هذه الكتابات وتعاظمت منذ أن نشر "جون ديوي" (1859-1952) كتابه المهم: المدرسة والمجتمع عام 1899، وقد وصفت هذه الكتابات نفسها منذ ذلك الحين بمصطلح علم اجتماع التربية.(شبل، البيلاوي:1997).

يعتبر "إيميل دوركايم" الرائد في علم اجتماع التربوي بلا منازع، وعلى الرغم من أنّه لم ينشر في هذا الموضوع أثناء حياته، إلّا أنّه أعطى الكثير من المحاضرات في علم الاجتماع التربية في جامعة السوربون منذ عام 1906.

وفي عام 1916 كان مصطلح "Educationnel sociologie" قد شاع استعماله ليس فقط كعناوين لكتب مدرسية بل من خلال أسماء لأقسام أكاديمية ومقررات دراسية تفي جامعات متعددة.

في عام 1925 تأسست أوّل جمعية قومية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، تحمل نفس الاسم "علم الاجتماع التربوي" وأصدرت هذه الجمعية أوّل دورية عام 1927 بنفس الاسم أيضا.

The jounal of educational.S وظلت تسيطر على هذه الجمعية النظرة إلى علم الاجتماع التربوي على أنّه فرع من التربية وليس فرعا من علم الاجتماع (بدران ، البيلاوي:1997).

وخلال الفترة الزّمنية بين عام 1907 -1919 ودخول أمريكا الحرب العالمية الأولى ظهرت المجالات التربوية التّي دعت إلى تطبيق علم الاجتماع في ميدان التربية، فقد واجهت عدة مشاكل حيوية بفعل عوامل جديدة، أدت إلى تغيير النظرة إلى التربية كموضوع للدراسة، أهم هذه العوامل في العناصر التالية:

- تقدم الصناعة وتنوع مؤسسات المجتمع، وما نشأ عن ذلك من علاقات جديدة بين التربية وهذه المؤسسات.
- ظهور مشكلات اجتماعية جديدة، من جراء التقدم الصناعي الرأسمالي.
- ظهور مشكلات جديدة داخل حقل التربية ذاته نتيجة تطوره في الإدارة والتنظيم المدرسي والأداء وقابلية التلميذ للتعلم وتعليم الكبار.
- الجهود الأكاديمية التّي استمرت من داخل علم الاجتماع تهتم بالتربية وبدراستها خاصّة جهود "فريد كلارك" الّذي تولى إدارة معهد لندن للتربية 1937 و"كارل منهايم" الّذي هرب من ألمانيا إبان الحرب وعين أستاذا للاجتماع بمعهد لندن للعلوم الاقتصادية(شبل، البيلاوي:1997).
- **وتعود الأبحاث الأولى حول علم الاجتماع التربوي، والتي عمل على وضعها مجموعة من الفلاسفة وعلماء الاجتماع، ومن أشهرهم "ماكس فبير"، الذي قام بتأليف كتاب حول التطورات الاجتماعية في المجتمع، كما قام "إميل دوركايم" بوضع مجموعة من المؤلفات حول علم الاجتماع التربوي وفي عام 1963، صدر أول كتاب بعنوان علم الاجتماع التربوي، والذي يحتوي على أفكار علماء الاجتماع السابقين وعلى مجموعة من الدراسات المستحدثة التي اعتمدت على تطوير الدراسات السابقة في مجال علم الاجتماع التربوي، والتي أدت إلى صدور العديد من الكتب والمؤلفات حول علم الاجتماع التربوي بين 1971 و1974، وفي نهاية القرن العشرين، أصبح علم الاجتماع التربوي من العلوم والتخصصات المهمة، ومن أهم الموضوعات الخاصة به، تأثير التربية على المجتمع، وتأثر التربية بالمؤثرات الخاصة بالمجتمع** (كريب).

3- أهداف علم اجتماع التربية:

إنّ معنى الهدف هو وجود عمل مرتب ومنظم قائم على استبصار سابق للنهاية الممكنة في ظل ظروف وإمكانيات موضوعية مصاحبة، فحين يفكر الإنسان الّذي يقوم بعمل ما في نتيجة عمله يفكر بذكاء في خطوات هذا العمل ويربط بينهما في ضوء توقعاته للنتيجة وفي ضوء خبراته السابقة وما يقوم به من تعديلات لخطوات العمل وفق إدراكه لعلاقتها وتسلسلها على النحو يستبصر فيه سلامتها فإنّ دافعه لهذا العمل يصبح هدفا) سرحان: 1984).

ويسعى العالم للإجابة على تساؤلات معينة يطرحها حول الظواهر التّي يعالجها ذلك العلم وهذا هو شأن علم الاجتماع التربية، فهو يسعى للإجابة على ماذا، ولماذا، وكيف؟ وإذا ما حاولنا تطبيق ذلك على الظاهرة التربوية التّي حدثت وما هو النظام التربوي القائم؟ وما هي طبيعته؟ وما هي عناصره؟ وما هي

طبيعة العلاقة القائمة بين الجماعات التربوية؟ وتقع الإجابة في دائرة وصف للواقع وما يرتبط به من نظم فرعية وجماعات تربوية (شتا: 2003).

3-1- الفهم: يستند تحقيق هذا الهدف إلى ما يقوم به علم اجتماع التربية من وصف للظاهرة التربوية والنظم المرتبط بها إلى تفسير العوامل والقوى التّي تؤثر على نشأتها وتطورها وعلاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى، وهذا كله يقع في نطاق المحاولة الجادة لفهم الظواهر التربوية حتّى يستطيع تحديد العوامل المؤثرة فيها من ناحية ويحاول تفسيرها من ناحية أخرى، وكمثال على ذلك نأخذ ظاهرة التسرب المدرسي إنّها ظاهرة تربوية وعندما يحاول علم الاجتماع فهمها فإنّ عليه ا يقوم بما يلي:

- تحديد ما هي ظاهرة التسرب المدرسي وخصائصها.
- تحديد العوامل والظروف التّي تؤدي إلى حدوث تلك الظاهرة.
- تحديد العلاقة بين هذه الظاهرة والعوامل التّي أدت إليها.

وإذا ما حققه علم الاجتماع التربية الوصف والتفسير لهذه الجوانب المتعلقة بالظاهرة التربوية يكون قد حقق الهدف الأوّل من أهداف العلم ألا وهو الفهم(السيد علي شتا: 2003).

3-2- التنبؤ: إذا ما تحقق الهدف الأوّل لعلم اجتماع التربية فهم الظاهرة التربوية من حيث ماهيتها وخصائصها وعلاقتها بالظواهر الأخرى، فضلا عن العوامل المؤثرة فيها، فإنّه يكون (شتا، 1997، ص39) قادرا على التنبؤ حيالها، فالتنبؤ هنا يعني قدرة الباحث على معرفة واقعية حول الظاهرة التربوية فعندما يصف الباحث ظاهرة التسرب المدرسي ويحدد العوامل المؤدية إليها فإنّه يغدو قادرا على الاستنتاج والتنبؤ بحالات أخرى في الظروف نفسها أو ظروف مشابهة، فحين يكتشف أنّ هناك علاقة بين التسرب المدرسي والظروف الأسرية الصعبة أو السيئة المدرسية (مثل تعامل المدرس مع تلاميذه أو تعامل الطلبة فيما بينهم) هي السبب الرئيسي في تسرب الطالب، فإنّ الباحث يستطيع أن يستنتج أنّ احتمالات حدوث حالات تسرب في ظروف مشابهة لتلك الظروف التّي أدت إليه.(شتا، 2003،)

3-3- التحكم والسيطرة: حيث يحقق لعالم اجتماع التربية هدفين: فهم والتنبؤ تزداد قدرته على التحكم والسيطرة في ظاهرة التربوية، فإذا ما أخذنا ظاهرة تسرب الطلبة مرة أخرى وفهمنا العوامل والظروف المشابهة، فحين يكتشف فإنّه يغدو بمقدورنا أن نسيطر عليه ونحقن منها عن طريق التحكم في العوامل المؤدية إليها، وعندما تتكامل أهداف العلم الثلاثة: فهم، تنبؤ، تعلم، وسيطرة مع بعضها البعض يزداد وعي علم اجتماع التربية بمجريات الأمور والأحداث التربية وبالتالي تحقيق الأهداف المرسومة لها بالنسبة للفرد والمجتمع (شتا، 2003). كما يمكن تحديد أهداف علم اجتماع التربية فيما يلي:

- فهم العلاقات التّي تربط النظم التربوية مع غيرها.
- دراسة العمليات الاجتماعية والضبط الاجتماعي داخل المدرسة وغرف الصف.
- دراسة المشكلات الاجتماعية التربوية من رسوب وتسرب وتأخر مدرسي والحرمان.
- التمايز الاجتماعي والثقافي.